الفصـــل الســـابـع

الميكروفيلم : استعمالاته ، وفهرسته ، وصيانته

أولا ــ مقدمة

كان للخصائص المميزة للميكروفيلم بوصفه وسيلة للنقل والتسجيل أكبر الأثر فى تحديد نوع التطبيقات التى يمكن فيها استخدامه لصالح المكتبات ، وهذه الخصائص يمكن تلخيصها كما يلى :

١ ــ ليست هناك صعوبات ذات بال من الناحية الفنية فى إخراج ميكروفيلم من مستوى معقول من النوع ذى السعة الأكثر تداولا فى المكتبات وهى ٣٥مليمترا كما أن الخامات والأجهزة الخاصة بهذا النوع بالذات متوفرة فى كل مكان بحيث يسهل الحصول عليها ــ وتكاليفها زهيدة ومن السهل على عامل لم يتلق من التدريب أكثر من أسبوع واحد أن يصور فيلما من مستوى مقبول .

٢ ــ تكاليف إعداد الميكروفيلم (من حيث ثمن الخامة ــ وأجور التصوير ــ وتكاليف التثبيت ــ والنسخ) كلها تسير فى خط مستقيم ــ بمعنى أن تكاليف إنتاج نسختين تساوى ضعف تكاليف إنتاج نسخة واحدة . وتكاليف إنتاج عشر نسخ تضاعف تكاليف إنتاج النسخة الواحدة بنفس النسبة . وهذا القول ينطبق سواء على النسخ السالبة أو النسخ الموجبة بدون فارق بين النوعين أى أنه ليس هناك تناسب عكسى بين زيادة العدد والتكاليف (بمعنى أنه كلما زادت النسخ فإن ذلك لايعنى خفض تكاليف إنتاج النسخة الواحدة) .

وقد كان من أثر الثبات فى سعر النسخة الواحدة ــ أو فى تكاليف إنتاجها (غير متأثرة بأية عوامل خارج نطاق نفسها) أن أصبح فى الإمكان عمل نسخ فردية كلما احتاج الأمر ــ وهذا النوع من عمليات النسخ المحدودة لم يكن متاحا من قبل بأسعار معقولة .

٣ ــ الميكروفيلم أداة نسخ رخيصة جداً . وهذه الخاصية هى التى أتاحت إنتاج النسخة الواحدة بشكل عملى لمن يريد نسخة واحدة . فمثلا بأسعار سنة ١٩٦٥ نجد التكاليف كما يلى :

حوالى ٢٠ مليما على أكثر تقدير لتصوير الصفحة الواحدة (أو اللقطة الواحدة ــ فلعل بها صفحتين متقابلتين) وهذا بالنسبة للقطات فى النسخ السلبية .

حوالى ٤ مليمات على الأكثر إذا استعمل الفيلم السالب لطبع عدد من النسخ الموجبة ، وهذا طبعا يستوعب تكاليف النسخ السلبية داخل ثمن النسخ المتعددة الموجبة (ولم تتح لنا معرفة أسعار أحدث) .

٤ ــ مستوى الصورة المنقولة على الميكروفيلم حين تصنع من سلبيات صالحة ــ وتعرض على جهاز قراءة من نوع جيد ــ هذا المستوى أوضح وأصلح بكثير من أى وسيلة أخرى من وسائل التصوير الميكروني (أى النقل المصغر للأصول ولذلك نجد الميكروفيلم ينجح فى حالات كثيرة فى أن يحل محل الصفحة المطبوعة أو التصوير المكبّر .. وأما من حيث قوة الاحتمال والقابلية للحفظ والصيانة للمستقبل ، فهناك مميزات ونقائص تتفرّد بها كل وسيلة من وسائل النقل الميكروني المصور . ولعله ليس من السهل حتى الآن التنبؤ بأيها يمكن أن يقاوم الزمن والاستعمال ومؤثرات التقادم العادى مستقبلا .

٥ ــ فالميكروفيلم قد أثبت حتى الآن قدرته الفائقة (حين يعد إعداداً سليما) على أن يحافظ على كيانه متماسكا كأحسن أنواع الورق . وقد أمكن التحقق من صحة هذا القول عن طريق التجريب على يد هيئات مهنية مثل جمعيات المكتبات ومنظمات التوثيق العلمى ، وهيئات علمية وهندسية مثل Massachussetts, Institute of Technology وهيئات تجارية مثل شركة ايستمان كوداك (فى معاملها) Eastman Kodak وكان التجريب ونجاحه هو أساس قبوله وسيلة لحفظ السجلات الدائمة ــ بل والحيوية فى أهميتها .

٦ ــ الميكروفيلم لايشغل أكثر من ١٠٪ من الحيز الذى كانت تشغله المادة الأصلية التى نقل عنها ــ بل وكثيرا ما يحتل أقل من هذه النسبة ــ وهذا على فرض أن معدل التصغير يتراوح بين ١٠ و١٥ مرة .

ثانيا ــ استعمال الميكروفيلم فى المكتبات :

وهذه الخصائص التى أصبحت مسلما بها من جانب الجميع ، والمستمدة أصلا من طبيعة الميكروفيلم بوصفة وسيلة نسخ ووسيلة حفظ ، كان لها أثرها فى استعمال الميكروفيلم بكثرة لمختلف أغراض العمل المكتبى . ونعدد من بين هذه الاستعمالات ما يلى :

١ ــ أصبح فى الإمكان إمداد المكتبة بنسخ مصورة على الميكروفيلم نقلا عن مواد استقرت فى مكتبات بعيدة ــ مثل الكتب والمخطوطات ومقالات الدوريات .

٢ ــ الميكروفيلم يساعد على صيانة المواد التى تبلى بسرعة مثل الجرائد والمجلات والكتب ، ولذلك تزايدت بكثرة الصحف اليومية التى تعنى بتصوير أعدادها الجارية فى الميكروفيلم بصفة دائمة ومتتابعة ومنتظمة . وذلك لأن ورق الصحف قابل بطبيعته للتلف السريع ــ ونفس القول ينطبق على المجلات والكتب بشكل أبطأ ولكنه مع ذلك مؤكد .

٣ ــ وثم ميزة ينفرد بها الميكروفيلم وهى فائدته المؤكدة فى توفير الحيز الذى تشغله المواد المستعملة بكثرة فى المكتبات . ونعود فنكرر مثالنا الرئيسى لهذه الحالة وهو الصحف اليومية .

٤ ــ كما أن الميكروفيلم يسمح بنشر مواد لم تنشر من قبل ، فتصدر فى طبعات محدودة ــ وبأسعار معقولة . وينطبق هذا على المواد المتخصصة التى لم يتأكد لدينا مقدار الحاجة إليها أو التى نعلم سلفا أن استعمالها سوف يظل ضئيلا . ومثال ذلك رسائل الدكتوراه .

٥ ــ والميكروفيلم يمكن أن يستخدم وسيلة رخيصة لحماية الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة من كثرة الاستعمال ، أو من التناول غير الرفيق ، أو من التعرض للضياع .

٦ ــ أصبح فى الإمكان فى السنوات الأخيرة استخدام أجهزة لقراءة الميكروفيلم تقوم فى نفس الوقت بطبع ما يراد تكبيره من صفحات أو نصوص ــ أى أننا سوف نستعمل الميكروفيلم فى اتجاه عكسى . فبدلا من أن نكتفى به صورة منقولة عن مجلة أو جريدة أو كتاب أو مخطوط ــ بدلا من هذا نعود فنستخدمه وسيلة لإعادة طبع هذا الكتاب أو هذه الجريدة أو هذا المخطوط .

وذلك خلال استعمال أحد جهازين ، والفكرة فى كليهما بسيطة .

ففى أولهما 3 M Reader Printer

يمكن لأى قارىء فى المكتبة (أو باحث ... إلخ) أن يطبع على قطعة من الورق كل ما يروق له من نصوص يحتويها الميكروفيلم ــ وذلك بمجرد ضغط « زر » فى ذلك الجهاز مخصص لعملية الطبع نفسها . أى أن جهاز قراءة الميكروفيلم قد أصبح فى هذه الحالة جهاز للقراءة وللطبع معا . ونقصد بكلمة « الطبع » عملية تكبير صفحات من الميكروفيلم ــ أى عملية استنساخ ما نريد استنساخه من النص الأصلى الذى صور عنه الميكروفيلم .

إذن ففى حدود حجم لوحة القراءة بالجهاز ــ وحدود قدرة العدسات على التكبير ــ ومدى وضوح الصورة المراد نسخها سوف يقدر هذا الجهاز « القارىء والطابع معا » أن يسد حاجة لن يتيسر بأى وسيلة أخرى إرضاؤها بنفس السهولة وبنفس التكاليف الزهيدة . وما كان هذا كله ليتيسر لولا وجود الميكروفيلم فى بادىء الأمر ، ولولا استخدامه بوصفه « أصلا » نطبع منه الصفحات المطلوبة مكبرة .

ثم يأتى التطور الأهم ممثلا فى الجهاز الثانى أى جهاز :

xerox-copyflow continuous printer

وهذا الجهاز يعتبره البعض « من أخطر التطورات التى جدت خلال الـ ٣٥ سنة الأخيرة » . لأنه جعل فى الإمكان إنجاز عدد غير يسير من الخدمات التى لم تكن ميسورة من قبل .

فالتكبير يتم من الميكروفيلم عرض ٣٥ مليمتر .

والتكبير يتم بمعدل من ٧ مرات إلى ٢٢ مرة مساحة النص المطلوب استنساخه .

والسعر حوالى ٥٠ مليما لكل قدم من الورق على أكثر تقدير . ومن هذا الشريط المتصل من الورق يمكن صنع « كتب » أو صنع « نسخ » من « المجلات » .ــ أى صنع ما يشبه كلا النوعين . ونفس اقتصاديات عمل النسخ للميكروفيلم نفسه تشبهها تكاليف تكبير صُور النصوص هنا : بمعنى أن النسخ يمكن إنتاجها فرادى بسعر موحد لكل نسخة ــ أى ليست قلة النسخ مدعاة لارتفاع السعر ولا كثرة النسخ سبيلا لاقلال سعر النسخة الفردية .

ومما يزكى هذه الوسيلة للنسخ أن الصور يمكن طبعها هنا على أى نوع من الورق . بل وأكثر من ذلك ــ يمكن الطبع من الفيلم على ورق من نوع خاص . ثم يستخدم هذا الورق الخاص « أصلا » لاستنساخ نسخ متعددة على مطبعة عادية صغيرة للأوفست .

إذن فقد أصبح فى الإمكان خلال استعمال هذه الآلة أن نحصل على نسخة كاملة ، أو حتى طبعة محدودة ، لأى كتاب نادر بسعر لا يزيد كثيرا على سعر شراء الكتاب نفسه لو أنه كان مطبوعا ومعروضا بالأسواق . ومعنى هذا أن أى كتاب نادر أو أى مخطوط أصبح فعلا فى متناول أى أستاذ أو باحث فى نسخة لا يفترق شكلها كثيراً عن الأصلى الذى نقل عنه الميكروفيلم نفسه فى بادىء الأمر ــ وبسعر معقول ، ولو لإنتاج نسخة واحدة فى وقت واحد .

وهذا فى حد ذاته يعتبر انقلابا بعيد الأثر فى دنيا حفظ المعرفة وتداولها وتيسيرها وخاصة للمواد التى لم تكن لتتاح للأفراد ببساطة من قبل والانتفاع بالمادة المنسوخة يتم بغير حاجة إلى جهاز قراءة الميكروفيلم ، ولا حاجة للانتقال للمكتبة للاطلاع على الميكروفيلم نفسه . لأن جهاز القراءة أصبح جهاز طباعة أو استنساخ يقدم النص المطلوب « مطبوعا » بحجم تسهل قراءته ليستعمل استعمالا عاديا وفى أى مكان .

إذن فلن يضطر الباحث والدارس إلى انتظار أن يقرر ناشر ما طبع كتاب ما ، (ومثل هذا القرار لن يتخذه الناشر إلا بعد أن يتبين مدى اتساع رغبة الراغبين فى الحصول على الكتاب ــ أى بعد أن يتأكد من احتمالات التوزيع لأعداد كبيرة نسبياً) . ولكن مع وجود هذا الاختراع الجديد سوف يصبح استنساخ ولو نسخة واحدة عادية من أى كتاب فى حدود إمكان أى باحث أو دارس وبدون ارتفاع باهظ فى التكاليف لإنتاج هذه النسخة الشخصية الواحدة . ومع الاستغناء عن جهاز عرض أو جهاز قراءة أو أى شىء آخر .

والفضل فى هذا كله يرجع أساساً للميكروفيلم وسيلة لتصوير الأصل ، ثم وسيلة لصنع ما يشبه الأصل .

ثالثاً ــ فهرسة الميكروفيلم :

يلاحظ أننا خلال مناقشاتنا التالية لفهرسة الميكروفيلم سوف نستعمل كلمة مؤلف بفتح اللام (أى مفرد مؤلفات) كلما أردنا أن نشير إلى « العمل » أو « الانتاج » أو

« المصنف » المراد فهرسته ــ سواء فى ذلك المطبوع أو المخطوط الذى نقل بعد ذلك على ميكروفيلم .

على أن التقارب بل والتطابق أحياناً فى معانى هذه الألفاظ سوف يسمح لنا باستعمالها بالتبادل فيما بينها ــ طالما أن المعنى المقصود يمكن عرضه فى أوضح صورة ممكنة .

نلاحظ أولا قلة ظاهرة فى الكتابات المعالجة لموضوعنا هذا .. بمعنى أنه رغم تناول الميكروفيلم نفسه فى كتابات غير قليلة ــ إلا أن مسألة فهرسته عولجت فى مقالات قليلة جدا ــ أما معالجتها فى كتب قواعد الفهرسة فهى أندر من هذا بكثير .

وأريد أن أبين من بادىء الأمر أن عنصرى المؤلف والعنوان تشابه معالجتهما بالنسبة للمؤلف أو الانتاج الواحد مهما تغيرت طريقة نشره : مطبوعا أو مخطوطا ، أو مصورا ، أو شبه مطبوع . وعلى ذلك فلن نناقش هذين العنصرين هنا . بل ينصب اهتمامنا إلى جسم البطاقة : أى إلى بقية عناصر الفهرسة فيما بعد هذين العنصرين .

وحين نختبر ما فعلته بعض المكتبات عند إنشاء بطاقات الفهرس للميكروفيلم ــ نجد أن نسبة غير قليلة منها تضم معلومات أكثر مما يحتاجه القارىء وتتعلق بالميكروفيلم نفسه ولكنها قد لا تهم الباحث أو القارىء أو المستعير داخل المكتبة . وهذه المعلومات كانت المكتبات تضعها على بطاقات فهارسها فى الماضى ــ ومن أمثلتها :

نسبة التصغير ــ وطريقة وضع النص عند تصويره (طوليا أم عرضيا) ــ ومقياس الفيلم (أى عرضه) .

وكانت تفصيلات أخرى كثيرة عن الفيلم تشملها البطاقات فى حواشى أو شروح : ومثال ذلك :

١ ــ نوع أوعية الحفظ التى وضع فيها الفيلم .
أو ٢ ــ مكان وجود الأصل الذى نقل عنه الفيلم .
أو ٣ ــ عدد اللقطات (الصور) فى الفيلم .
أو ٤ ــ ماركة الفيلم أحيانا ــ مثل : ايستمان ميكروفايل Eastman microfile .

وكان طبيعيا أن يثير هذا اعتراضات كثيرة من جانب بعض المشتغلين بالمكتبات ممن اعتبروا أن المكان الطبيعى لمعظم هذه المعلومات (إن أريد فعلا الاحتفاظ بها) هو العلبة

أو الوعاء المشتمل على الميكروفيلم ، وليس بطاقة الفهرس الخاصة بذلك الميكروفيلم — ذلك لأنها لن تعنى شيئاً كثيراً بالنسبة للقارىء ، بل هى أكثر اتصالا باحتياجات أمين المكتبة الذى كان عليه أن يراعيها عند اختيار الجهاز المناسب لقراءة فيلم بعينه .

وفى سنة ١٩٤٩ ظهرت قواعد مكتبة الكونجرس للفهرسة الوصفية : U.S Library of Congress. Rules for descriptive cataloguing, D.C., L.C., 1949, 141 p.

وكان مجموع ماخصصته هذه القواعد لفهرسة الميكروفيلم (لايتعدى صفحة واحدة تتكون منها القاعدة ١٠ : ٤ بأجزائها المختلفة — هى مجموع الرأى الرسمى لتلك المكتبة فى فهرسة الميكروفيلم .

وهذه القاعدة تنظر للفيلم على أساس اعتبارين :

أنه إما نسخ لمطبوع موجود فعلا ، وإما نشر لمادة لم تنشر من قبل . ورغم التعديلات الموضعية البسيطة التى طرأت على تفصيلات البطاقة (مثلا : طريقة صياغة الحواشى ، أو ترتيبها فيما بينها) إلا أن الأساس النظرى واحد لم يتبدل : وهو أن الفيلم إما نسخ وإما نشر

وهذا الأساس كان له أثره فى القواعد التى تلته . ونذكر فيما يلى النص الكامل للقاعدة ١٠ : ٤ وتفريعاتها .

وقبل أن نسجل نص القاعدة مترجمة ، أرجو أن أبين بمنتهى الوضوح المعانى التى أقصدها ببعض الألفاظ العربية عن طريق إعطاء الألفاظ الأصلية المقابلة لها بالإنجليزية :

مؤلف (أو إنتاج ، أو عمل ، أو مصنف) : Work

بيانات النشر : Imprint

بيانات المقابلة (أو البيانات العددية) : Collation

حاشية : Note

بيان السلسة : Series Note

القاعدة ١٠ : ٤

المادة التى يحتويها الميكروفيلم يمكن ألا تخرج عن مجرد نسخة فوتوغرافية لمؤلف سبق نشره ، أو نسخة فوتوغرافية لمخطوط لم ينشر من قبل . وربما كان الميكروفيلم يمثل

الطريقة الوحيدة التى « نشر » بها مؤلف ما ، وهنا يمكن أن نقول بأن المخرج يلعب بالنسبة لذلك المؤلف (أى ذلك الإنتاج) نفس الدور الذى يلعبه الناشر فى حالة الطبع . ولكن على العموم سوف نفترض أن الحالة الأولى (أى أن الميكروفيلم مجرد نسخة فوتوغرافية لمطبوع أو لمخطوط (تمثل الوضع الأكثر حدوثا ــ إلا إذا وجد ما يقطع بغير ذلك :

(أ) بيانات النشر بالنسبة للميكروفيلم : Imprint

بيانات النشر التى نضعها على بطاقة الفهرس الخاصة بالميكروفيلم هى نفس البيانات التى كان من الممكن إدراجها فى وصف الأصل (أى المطبوع أو المخطوط الذى صور منه الميكروفيلم (ــ إلا إذا وجد ما يقطع بأن الإنتاج المنقول على الميكروفيلم لم يسبق نشره . وأن الميكروفيلم هو نفسه طريقة النشر الوحيدة التى تعرضت لها محتويات ذلك الانتاج .

(ب) بيانات المقابلة : Collation

ذلك الجزء من بطاقة الفهرس الذى تشغله عادة بيانات المقابلة يستعمل لبيان عدد « بكرات » الفيلم (أى أقراصه أو لفائفه) إذا زادت عن واحدة .

وفيما عدا ذلك لاتعطى أى بيانات عددية (أى بيانات مقابلة) عن فيلم صور مكتملا على بكرة واحدة .

وبيانات المقابلة الخاصة بالمطبوع أو المخطوط المنقول فوتوغرافيا على الميكروفيلم تعطى فيى حاشية ملحقة فى نفس البطاقة ، فإذا لم يتيسر الحصول على هذه المعلومات إذن يعطى بدلا منها بيان عددى يسجل طول الفيلم بالأقدام .

(جـ) وصف الفيلم :

أول حاشية تأتى بعد « بيان السلسلة » ــ إن وجد ــ تنص على أن الانتاج « أو المؤلف » الذى تمثله هذه البطاقة عبارة عن نقل فوتوغرافى على ميكروفيلم ، كما تنص على ما إذا كان الفيلم سالبا أو موجبا ، فإذا لم يكن عرض الفيلم المراد فهرسته هو العرض

العادى « ٣٥ مليمترا » ، إذن يجب إضافة هذه المعلومات عن عرض الفيلم بالمليمترات .

« انتهت القاعدة »

ونلاحظ فى غالبية الكتابات التى عالجت الموضوع ــ إن لم يكن كلها ــ تكرارا توكيدا للمبدأ القائل بمعاملة الميكروفيلم معاملة أقرب ما تكون إلى مانفعله بالكتاب عند فهرسته . ولكن لانقطع بأن هذا المبدأ قد اتبع بحذافيره عند التطبيق .

فالأفلام قد عولجت فى معظم المكتبات بوصفها أفلاماً وليس بوصفها « صورا لكتب » ولعل هذا الفارق بين المبدأ وتطبيقاته له مايبرره ... لأن معظم الأفلام التى كانت تفهرس حينذاك لم تكن سوى نسخ مفردة . بمعنى أن الميكروفيلم المراد فهرسته كان إما النسخة السالبة التى صورت من النص الأصلى ، وإما نسخة واحدة أو نسختين موجبتين طبعتا من السالب لسد احتياجات فردية ومحلية فى مكتبتين مثلا . وكان عدد كبير من الأفلام يرجع أصلا إلى رغبة أحد الأساتذة فى الحصول على نسخة ميكروفيلمية لأجزاء من كتب بعينها ليطلع عليها أو ليستعملها فى أبحاثه أو فى تدريسه . ثم لاتلبث أن تنتهى حاجته إليها فيسلمها للمكتبة لتستقر فيــها أى أن أعداد الأفلام كان يتم على أساس فردى ولسد مطلب بعينه . ونرجح أن المطالب الفردية لتصوير نصوص بعينها أو أجزاء من نصوص لازالت فى تزايد مستمر حتى الآن . ولكن بجانب هذا يوجد اتجاه قوى ونامى نحو استخدام الميكروفيلم وسيلة للنشر بادىء ذى بدء لمواد لم تنشر من قبل ــ ومثال ذلك تصوير الرسائل الجامعية ، والصحف القديمة والنادرة ، ومشروع تصوير محتويات مكتبة الفاتيكان .

ففى هذه الحالات لن يصبح الفيلم السالب (الذى صور رأساً من النص الأصلى) ملكا لأى مكتبة فردية ، ولكن تتعدد المكتبات المقتنية للنسخ الموجبة . وهذا نشر بكل معانى الكلمة برغم أن وسيلة النشر هنا تختلف كثيرا عن الوسائل التى عرفناها حتى الآن .

وعلى هذا الأساس يجب أن يناقش تفصيلا موضوع « فهرسة الميكروفيلم لنرى إلى أى حد أمكن الأخذ بالمبدأ القائل بأن فهرسة الميكروفيلم يجب أن تشبه بقدر الإمكان فهرسة الكتب .

وأول ما نلاحظه هو أنه فى ظل القواعد الحالية (وعلى رأسها قواعد مكتبة الكونجرس للفهرسة الوصفية) سوف تستغرق فهرسة الميكروفيلم مدة أطول مما تستغرقه فهرسة الكتاب أو المخطوط الذى نقل عنه ذلك الميكروفيلم . فيحتاج أبسط فيلم إلى مدة تساوى مايحتاجه أعقد كتاب عند فهرسته . وربما كان السبب هنا راجعا إلى طبيعة الشكل المادى للأفلام نفسها .

ولكن بما أن الأفلام قد بدأ تدفقها على المكتبات وكل الظروف توحى باستمرارها وتزايدها مستقبلا ... إذن فعلينا أن نعمل من الآن على تبسيط عمليات فهرسة الميكروفيلم قبل أن يضطرنا ضغط الكثرة العددية للأفلام إلى أن نتخذ هذه الخطوة مرغمين فيما بعد . وبالطبع نحن نعترف بأن تبسيطات كثيرة قد حدثت فى كمية المعلومات المسجلة على بطاقة الفهرس : فلم يعد المفهرس يعمد إلى ذكر طريقة وضع النص عند التصوير (الصور رأسية أو الصور أفقية) ، أو يعمد إلى ذكر « ماركة » الفيلم . ومع ذلك لازال هناك من المعلومات أكثر مما يحتاجه القارىء ، ويمكن إلغاؤه لو أننا أحسنا اتباع المبدأ الذى أردنا أن نلتزم به وهو أن : فهرسة الميكروفيلم يجب أن تشبه بقدر الإمكان فهرسة الكتب .

وأن جمع وتحقيق هذه المعلومات الزائدة (والتى لايحتاجها القارىء والباحث أو المنتفع) هو الذى يستغرق من الوقت ما يجعل فهرسة الميكروفيلم عبئاً على جهد المفهرس ووقته .

فالاهتمام الأول للمفهرس حين يتناول كتابا ليفهرسه هو أن يمد القارىء بقدر من المعلومات يكفى للتعرف على هذا الكتاب وتخصيصه وعزله عن غيره من الكتب ، ويكفى أيضا لتحديد موضوع الكتاب . ولاشك أن المحتوى الموضوعى للكتاب الذى نفهرسه أهم بكثير من الشكل الذى صدر به . وأن من أدق عناصر الفهرسة بالنسبة للمفهرس وأكثرها استهلاكا للوقت العنصرين التاليين :

أولا : اختيار المدخل الرئيسى للكتاب .

ثانيا : اختيار رؤوس الموضوعات .

وليس لأى من هذين العنصرين أية علاقة بالشكل المادى للكتاب .

وإنما يقتصر وصف الشكل المادى للكتاب على ما تتضمنه « بيانات المقابلة » أو « التوريق » Collation : أى عدد الصفحات أو المجلدات ، ونوع وسائل الإيضاح (وعددها أحياناً) ، وارتفاع الكتاب لبيان حجمه (وهذا أحيانا وليس دائما) . مع ما قد يصحب ذلك من حواشى تحوى أية معلومات ببليوجرافية تلزم للتعرف على الكتاب .

فإذا كان الميكروفيلم قد أصبح فعلا وسيلة نشر فلماذا إذن نصف الكتاب الذى نقل عنه الميكروفيلم .

وفى هذا يقول قائل : « يقوم المفهرسون عند فهرسة الميكروفيلم بوصف الفيلم نفسه ، كما يصفون فى نفس الوقت الكتاب الذى نقل عنه الميكروفيلم . فهل يعقل أن يقوم نفس المفهرسين عند فهرسة كتاب مطبوع بوضع بيانات على بطاقته تصف نوع الورق أو شكل حروف الطباعة فيه ؟ » .

وهذا يبين بمقارنة بسيطة أن التمسك بتفصيل الصفات المادية للكتاب الذى نقل عنه الميكروفيلم إغراق فيما لايجدى .

وبالرغم من أن المفهرسين قد طوروا أسلوبهم كثيرا فحذفوا من بطاقات الفهرس بيانات اعتبروا أن مكانها الطبيعى هو العلبة أو الحافظة أو الوعاء المحتوى على الفيلم ، إلا أنهم مازالوا يتمسكون ببعض المعلومات التى تنصب مباشرة على الوصف المادى للفيلم والتى لن يهتم بها قارىء أو باحث .

فإذا كانت قلة الكتابات الحديثة فى الموضوع فى سنوات قريبة تدل على شىء فإنما تدل على أننا قد وطنا أنفسنا على قبول الوضع الحالى أو على أننا قد توقفنا حتى عن مجرد التفكير فى حسناته أو معايبه . فمثلا بيان أن الفيلم سالب أو موجب ــ ومثلا بيان عرض الفيلم إن كان مخالفا للعرض الغالب وهو ٣٥ مليمتر . هذه أمثلة لما نعنيه هنا .

ويمكن عقد المقارنات بين عمليتى نشر أى مادة علمية مرة على شكل كتاب ومرة على شكل ميكروفيلم بحيث نبين أن الميكروفيلم لايخرج عن كونه وسيلة من وسائل النشر شأنه فى ذلك شأن الكتاب سواء بسواء .

١ ــ الكتاب حين يصور على الميكروفيلم إنما يقابل بالضبط النسخة الأصلية المقدمة من المؤلف للناشر ليعد منها الكتاب المطبوع .

٢ ــ ومكان نشر الكتاب يقابل المكان الذى كتبت فيه أصول الكتاب قبل طبعه . ووضع الناشر هنا لايختلف كثيرا عن وضع المؤلف الذى خط مادة الكتاب بيده ، أو كاتب الآلة الكاتبة الذى نسخ الأصول قبل النشر .

٣ ــ وتاريخ النشر يقابل التاريخ الذى انتهت فيه كتابة أصول الكتاب قبل نشره (أو نسخها على الآلة الكاتبة) .

٤ ــ عدد صفحات الكتاب المطبوع يقابل عدد صفحات الأصل المستعمل من جانب الناشر لأغراض الطبع .

٥ ــ ومكان تصوير الفيلم يقابل مكان نشر الكتاب . والهيئة القائمة بالتصوير تقابل الناشر وتاريخ التصوير للفيلم يقابل تاريخ النشر بالنسبة للكتاب المطبوع .

٦ ــ وبيانات المقابلة Collation الخاصة بالفيلم (إن وجدت) تقابلها البيانات العددية المشابهة بالنسبة للكتاب المطبوع .

٧ ــ ولكن ــ وهذا هو المهم ــ سوف يظل المؤلف كما هو ، والعنوان كما هو بدون أى تغيير مهما اختلفت وسائل الإخراج المادى للانتاج المراد فهرسته .

إذن فالميكروفيلم ليس إلا طبعة جديدة للمؤلفات التى سبق لها أن نشرت على شكل كتب . وهذه الحقيقة سوف تبين بشكل أوضح الطريق الذى يجب أن نسلكه لو أننا أردنا أن نطبق باخلاص المبدأ القائل بأن الميكروفيلم يجب أن يعامل عند فهرسته معاملة الكتاب بالضبط .

وأن الاعتراف الكامل بأن النشر على الميكروفيلم يمثل « طبعة جديدة » إنما يعطله استمرار وجود خصائص الطبعة التى ينتمى إليها الأصل المصور عالقة بالميكروفيلم . ففى التعريف العادى لكلمة « طبعة » سوف نجد عنصرا له أهميته وهو تغيير صف الحروف فى كل طبعة جديدة . ولكن مثل هذا العنصر أو الشرط لاوجود له هنا فى حالة الميكروفيلم .

ومع ذلك لابد لنا أن نقف قليلا أمام اعتبارين آخرين لنناقشهما الآن :

١ ــ فأولا : كثيرا ما تعامل إعادات الطبع عند فهرستها كما لو كانت طبعات جديدة تماما .. فقد يحدث ألا يعنى المفهرس ببيان الصلة بينهما ــ أو لعله لايفطن إلى وجود هذه الصلة .

٢ ــ وثانيا : نصادف هنا اختلافا جذريا فى وسيلة النشر . فإن من السهل مثلا إخفاء ماضى كتاب عند إعادة نشره فى طبعة جديدة ، ولكن من المستحيل إخفاء ذلك الماضى عند إعادة نشره على الميكروفيلم . ولكن هل يعنى ذلك إنكار أن الميكروفيلم وسيلة نشر ــ وأنه « طبعة » جديدة ــ ولاسيما حين يكون هدف المنتج هو التوزيع التجارى لنسخ متعددة من نفس الميكروفيلم ؟

أى أنه على الرغم من بقاء الخصائص المادية للنص الأصلى عالقة بنسخ الطبعة الميكروفيلمية المصورة ــ إلا أن ذلك لايمنع من اعتبارها طبعة جديدة ومعاملتها على هذا الأساس .

السالب والموجب :

ونحن الآن لازالت مكتباتنا تعنى ببيان ما إذا كان الفيلم سالبا أو موجبا ــ هذا على الرغم من أن القارىء قد لاتعنيه مثل هذه المعلومات لأنها لن تؤثر فى استعماله للفيلم أو انتفاعه به . وإنما المكان الطبيعى لهذا النوع من المعلومات هو الحافظة أو الوعاء الذى اختزن الفيلم بداخله ــ فربما احتاج أحد من أعضاء هيئة المكتبة إلى المعرفة ما إذا كان الفيلم سالباً أو موجباً ــ وهذا عادة فيما يتعلق بامكان طبع نسخ موجبة من فيلم سالب .

وقد يقال بأن الفارق بين الميكروفيلم الموجب والسالب فارق أساسى شأنه شأن الفارق بين الكتاب المطبوع وبين لوحات الطباعة التى عمل منها ذلك الكتاب . وهذا القول صحيح ، ولكنه لايعنى أن المعلومات عما إذا كان الفيلم سالبا أو موجبا يجب وضعها على بطاقة الفهرس ــ بل أن أهميتها الأولى تقتصر عند من يريد طبع نسخة جديدة من ميكروفيلم موجود فعلا . إذن فهى ليست من اهتمامات القارىء . إذن فمكانها هو ظاهر الوعاء الذى حفظ به الفيلم . وعلى ذلك تكفى كلمة « ميكروفيلم » فقط على بطاقة الفهرس .

بيانات المقابلة :

لعل من أكثر تفصيلات فهرسة الميكروفيلم التهاماً لوقت المفهرس ، مطالبته بوضع حاشية على البطاقة المفهرسة يذكر فيها بيانات المقابلة (أى البيانات العددية) عن

المطبوع الأصلى . وهذه الصعوبة تتزايد إذا كان التصوير رديئاً بحيث اقتطع من الصفحات أرقامها فلم تظهر على لقطات الميكروفيلم . ونحن لانرى منطقاً حقيقيا يسند مطالبة المفهرس بالالتزام ببيان عدد صفحات الأصل (سواء كان كتابا أو مخطوطا أو مجلة دورية) لمجرد أنه يقوم بفهرسة صورته الميكروفيلمية .

وبما أن عمليات المقابلة (أو التوريق) تمثل وصفا لجسم مادى غير متوفر بكامله أمامنا عند فهرسة الصورة المنقولة عنه ــ إذن فالطبيعى هو حذف بيان الصفحات والأجزاء والصور والإيضاحات (أى بيانات المقابلة) عند فهرسة ميكروفيلم . فالفيلم بطبيعته لا « توريق » له .

ولتستمر فى تشبيهنا الكبير ونقول :

إن بطاقة الفهرس لكتاب مطبوع لاتسجل عدد صفحات النسخة الخطية التى كتبها المؤلف والتى طبع منها الكتاب . بل ولن تعنى بإدراج مثل هذه المعلومة لو أنها ذكرت داخل الكتاب نفسه .

ولكن المشكلة يعقدها أن الميكروفيلم نقتنيه عادة ليحل محل الكتاب ــ ولكن الكتاب لانفكر عند اقتنائنا له أننا إنما نحله محل الأصل الخطى الذى استعمل فى نشره .

ونفصل فيما يلى استعمالات ثلاثة :

١ ــ فالباحث الذى يهتم فى بحثه بأن يطلع على نسخة من طبعة بعينها لن يرضيه حذف بيانات الطبعة ولابيانات عدد صفحاتها ــ طالما أن عدد الصفحات ووسائل الإيضاح وحجم الكتاب كثيرا ما تساعد على تحديد رقم الطبعة (أو مكانها بين طبعات ذلك الكتاب) وتحديد خصائصها .

٢ ــ وعلى العكس من ذلك قد يوجد باحث يهتم أساسا بالمحتوى الموضوعى لكتاب ما وهذا لن يهتم كثيرا بالطبعة ولن يعنى بالبيانات العددية عن الأجزاء أو الصفحات أو وسائل الإيضاح أو الحجم اللهم إلا فى حالة واحدة ــ وهى تجنب الكتب الصغيرة التى تكتب أحياناً عن موضوعات أكبر من طاقة الكتاب الصغير .

٣ ــ أما البيبليوجرافى المدقق فإن عنايته بالوصف المادى لمطبوع أو مخطوط سوف تدفعه إلى البحث عن نسخ فعلية من أيهما . ولن يقنع إطلاقا بما تقوله عنه بطاقة الفهرس لأن تفصيلاتها (مهما فصلت) أقل عادة مما يمكن أن يستخلصه هو

وصفا وتحليلا للكتاب حين يتناول ذلك الكتاب ـــ إذن فالبيانات العددية التى جاءت ببطاقة الفهرس لن تغنيه عن الكتاب الذى يعنى هو بتحليله .

هذا فيما يتعلق بمدى أهمية بيانات المقابلة للقارىء والباحث .

وأرى أن الحالتين رقم ٢ ، ٣ لن تفرضا الاهتمام بهذه البيانات رغم وجودها على البطاقة بالفهرس . ولكن الحالة رقم ١ تستوجب هذا الاهتمام ولكنها عادة لا تفرض الذهاب إلى أبعد من البطاقة المفهرسة وما تحمله من بيانات عددية (أى بيانات مقابلة) .

إذن فلأجل إرضاء هذا النوع من الاهتمام يمكن أن نكتفى بتصوير بطاقة الفهرس الخاصة بالمطبوع أو المخطوط الذى نشرع فى تصويره ـــ هذه نصورها قبل أولى صفحات المؤلف نفسه ، أى أنها من أولى لقطات الفيلم إن لم تكن الأولى فعلا .

وهذا يكفى لإعفاء مفهرس الميكروفيلم من ضرورة إدراج مثل هذه البيانات العددية على بطاقة فهرسة الميكروفيلم : بينما البيانات تخص الأصل الذى صور منه الميكروفيلم .

وثم ظاهرة نلاحظها عند فهرسة بعض الكتب :

فأحيانا قد يحتاج مفرس الكتب إلى صياغة حاشية Note تذكر أن طبعة الكتاب الذى يفهرسه إنما عملت نقلا عن طبعة أخرى سابقة . ونحن فى مثل هذه الحالات نكتفى بهذا القدر من المعلومات ـــ فلا نطالبه مثلا بأن يعطى البيانات العددية عن صفحات أو أجزاء أو حجم تلك الطبعة السابقة .

إذن فلأجل الوفاء باحتياجات الباحث الذى قد يعنى بتبيين الفوارق بين الطبعات قبل أن يستعمل شيئا منها يمكن أن نضيف على بطاقة الفهرس الخاصة بالميكروفيلم حاشية تذكر أنه (أى الفيلم) صور نقلا عن طبعة كذا لكتاب كذا . وبهذه الطريقة يمكن الاستغناء نهائيا عن تفصيل البيانات العددية (أى بيانات المقابلة) الخاصة بالأصل المصور ، ومع ذلك نضمن التعرف على الطبعة التى ينتمى إليها ذلك الأصل .

وهذا الإجراء ، مضافا إلى الإجراء الذى سبق أن بينته ـــ وهو تصوير البطاقة الأساسية لفهرسة الكتاب قبل تصوير الكتاب نفسه ، ويكون مكانها بداية الميكروفيلم ـــ سوف يكفيان معا لإعطاء أقصى ما يمكن أن يطمع فيه باحث من بيانات المقابلة عن العمل الأصلى الذى صور منه الميكروفيلم .

فإذا أعطينا بيانات المقابلة بالنسبة للفيلم ، فماذا تكون عناصرها ؟

الذى يحدث وفقا للقواعد المعمول بها حاليا هو ذكر عدد بكرات (أو لفافات) الفيلم إن كانت أكثر من واحدة ــ ثم ذكر عرض الفيلم إن كان مغايرا للنوع الغالب وهو ٣٥ ميليمتراً .

وطبعا عدد البكرات له نفس أهمية عدد المجلدات فى حالة الكتاب المطبوع حين تتعدد مجلداته .. ولكن بيان عرض الفيلم لا يهم القارىء إطلاقا إلا حين يريد تركيب الفيلم على الجهاز الخاص بقراءته . بل ولن يفهم ما يعنيه هذا البيان إلا شخص تعود على استعمال الأفلام . ولعل الوعاء الحاوى للميكروفيلم عند حفظه هو المكان الطبيعى لإثبات مثل هذه المعلومة حين تكتب على الوعاء من الخارج .

أما عن طول الفيلم بالأقدام ــ أو عدد اللقطات فى الفيلم ــ أو عدد اللقطات فى القدم ــ أو عدد الصفحات فى اللقطة ــ فما قيمة هذا كله للقارىء ؟ .. لا يعنى بالنسبة له إلا أقل القليل ، إذن فليحذف .. ولا يبقى إلا ذكر عدد بكرات الفيلم إن زادت عن واحدة حتى يعرف القارىء مدى اكتمال إطلاعه على ما يريد الاطلاع عليه . وهذا وحدة يكفى بالنسبة لعنصر المقابلة Collation عند فهرسة الميكروفيلم .

بيانات النشر :

ثم نتساءل ما مدى أهمية « بيانات النشر » الخاصة بالميكروفيلم ؟

المكان الذى صور فيه الفيلم ، واسم الجهة المنتجة ، وتاريخ ذلك الانتاج المصور .

نجد أن الجهات التى « تنشر » الميكروفيلم وتوزعه بكثرة مثل :

1- University Microfilms, Ann Arbor, Michigan.

2- University of Chicago, Photoduplication Department.

تطبع كل منهما اسمها على كل ميكروفيلم تنتجه لتصور به نصا أرادت أن تنشره بهذه الطريقة ــ والنص هنا فى أغلب الأحيان رسالة جامعية .

ونجد أن مكتبة الكونجرس عند فهرستها لهذه الأفلام « أى فهرستها لهذه الرسائل المنشورة بهذا الشكل (تضع اسم ذلك المنتج فى نفس المكان الذى نضع فيه اسم الناشر عند فهرسة الكتاب ، فهل نلتزم بنفس الأجزاء بالنسبة لكل عمليات النشر الكبيرة للميكروفيلم ..

طبعا المفهرسون يعنون دائماً بذكر اسم الناشر (إما كاملا أو مختصرا) على بطاقات الفهرس الخاصة بالكتب ــ ولكن لا يمكننا حتى الآن أن نقطع بمدى أهمية هذا النوع من المعلومات بالنسبة للميكروفيلم : ربما لأن فكرة النشر على الأفلام وأهمية المنتج فى هذه الحالة بوصفة ناشرا ، وخطوط الاتصال التجارى العادى بهذا الناشر ، كلها لم تتبلور وتتضح كلها بنفس الشكل العادى والمسلم به بالنسبة للنشر والناشرين فى حالة الكتب . ومع ذلك فهناك اتجاه واضح إلى سد احتياجات المكتبات إلى الكتب النادرة أو التى نفدت طبعاتها ــ وذلك عن طريق تصويرها وتوزيعها « منشورة فى طبعات » ميكروفيلمية . وهذا وحده قد ينجح مستقبلا فى شد انتباه المكتبات وربط اهتماماتها بهذه الوسيلة الجديدة من وسائل النشر ــ أى كلما أعوزت المكتبة الحاجة لما تجده فى سوق المطبوعات العادية . وفى هذه الحالة سوف يلزم المكتبة أن تعرف اسم « المنتج الناشر » الذى يصوره ويوزعه . ويسمونه فى الكتابات الجديدة The Filmer .

وأنا من جانبى لا أتوقع لناشر الميكروفيلم أن يكون لاسمه أثره فى تفضيل « طبعة » على أخرى عند اختيار الميكروفيلم كما نفعل فى حالة الكتب لأن طبيعة الميكروفيلم نفسه لا تسمح بالتفاوت الكبير فى الشكل بين إنتاج نفس النص مصورا على يد منتجين أو ثلاثة أو أكثر .. لأننا نتساءل من الآن : هل يأتى الوقت الذى تتعدد فيه الطبعات الميكروفيلمية للأصل الواحد (مطبوعا كان أو مخطوطاً) بحيث نحتاج إلى صياغة أسس ومعايير للمفاضلة بينها ومن ثم الاختيار ؟ ــ لا أظن ...

وبطبيعة الحال حين نضع على بطاقة الفهرس مكان تصوير الميكروفيلم ، واسم منتجه ، وتاريخ الانتاج المصور لسنا بحاجة إلى ذكر بيانات النشر بالنسبة للمادة الأصلية التى تم نقلها على الفيلم ، لأننا نتساءل : هل إذا صدرت طبعة انجليزية لكتاب نشر أصلا فى أمريكا ، هل يعنى المفهرس الانجليزى بذكر اسم الناشر أو المكان أو تاريخ النشر الأمريكى ؟ طبعا لا ... إذن فلنفعل المثل بالنسبة للميكروفيلم وبوصفه طبعة جديدة لناشر جديد .. فإن احتاج الأمر إلى ذكر بيانات نشر الكتاب الأصلى الذى يصوره الفيلم إذن فليأت ذلك فى حاشية تتبع الفهرسة الكاملة للفيلم كما بيناها الآن .

صفحة العنوان :

لا يوجد بالنسبة للميكروفيلم شكل موحد لما يمكن أن يحل محل « صفحة العنوان » التى تتخذ أساسا فى فهرسة الكتب ، ومجلدات الدوريات ، والنشرات .. إلخ . ففى

الميكروفيلم قد يعنى المنتج بأن يشغل إحدى اللقطات فى بداية الفيلم بمعلومات عن اسم المؤلف – وعنوان الكتاب – ثم اسم المنتج نفسه . وأحيانا يفصل بين هذه المعلومات فى لقطتين متتابعتين :

١ – الأولى لاسم المنتج .

٢ – والثانية تشمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب لأنها عبارة عن صحيفة العنوان الأصلية للنص الأصلى عند تصويره .

إذن فمفهرس الميكروفيلم يجمع مادته من أكثر من مكان – وليس هناك مصدر واحد متعارف للمعلومات كما يحدث فى حالة صفحة العنوان عند فهرسة مطبوع .

إذن فلا حاجة إلى الأقواس المربعة التى تبين المادة المضافة من قبل المفهرس إلى صفحة العنوان – اللهم إلا إذا تطور التطبيق فتشابه عند كل من ينشرون الأفلام . فيتفقون جميعا على الالتزام بإجراء يقابل صحيفة العنوان بالنسبة للمطبوعات ، وقد يحدث ذلك مستقبلا على هيئة لقطة تشمل العناصر البيبليوجرافية اللازمة للمفهرس ، وتأتى هذه اللقطة فى بداية الفيلم .

وكما قلت من قبل : لتتخذ اللقطة هنا شكل بطاقة فهرس كاملة العناصر ، فينقل عنها المفهرس مباشرة .

لنتحاشى أن نملأ بطاقة فهرسة الميكروفيلم بحواشى كثيرة عن مكان المادة الأصلية التى صورت على الميكروفيلم – اللهم إلا فى حالة المواد الهامة جدا والنادرة جدا . وحتى هذه قد تكفى أهميتها لإقناعنا بأن الغالبية العظمى من الباحثين يعلمون عنها الكثير – لأن الباحث عادة أدرى من غيره بمادة تخصصه ، وأدرى بمصادرها الهامة والنادرة ، وأدرى باسم الجهة التى تستقر فيها تلك المصادر .

ولتلخيص كل ما ناقشناه الآن أقول أنه على أساس اعترافنا بالميكروفيلم بوصفه «طبعة» جديدة مصورة لمادة علمية سبق لها أن ظهرت بشكل آخر : مطبوعة ، أو مخطوطة ، أو مرسومة ... إلخ . سوف نحرص على ألا نحمل بطاقة الفهرس أكثر من العناصر التالية » (١) ، المؤلف ، (٢) العنوان ، (٣) مكان تصوير الفيلم ، واسم منتجه ، وتاريخ التصوير ، (٤) وفى السطر الخاص ببيانات المقابلة لا نذكر سوى عدد بكرات الفيلم إن كانت أكثر من واحدة ، (٥) ثم حاشية لا نذكر فيها أكثر من أن هذا

ميكروفيلم بدون ما حاجة إلى كلمة « سالب » أو كلمة « موجب » . (٦) وإن احتاج الأمر نعطى حاشية أخرى تربط الفيلم بالكتاب أو المطبوع .. إلخ . الذى صور الفيلم نقلا عنه . أى تربط الطبعة الجديدة المنسوخة بالتصوير – وهى الميكروفيلم – بالطبعة الأقدم التى جعلوها أصلا حين صوروا .

رابعا ــ اختزان الميكروفيلم وصيانته :

العناية الحفظية بالأفلام تبدأ منذ صنع الفيلم نفسه ــ ثم تتتابع الإجراءات الحفيظة خلال عمليات غسل الفيلم بعد تصويره ثم « تحميضه » – وهذه مسائل لعله لا دخل لنا فيها الآن طالما نحن لا نقوم بتصوير ميكروفيلم فى مكتبتنا ولا نقوم بعمليات طبعه ، ولاحتى اختيار خاماته قبل أن يطبع لحسابنا فى جهات أخرى بعيدة .

وبطبيعة الحال ليس من السهل أن نتحدث بأى قدر من الدقة العلمية عن إمكانيات احتمال الميكروفيلم للبقاء لأغراض الحفظ الدائم – أى ليس بنفس سهولة الحديث عن الكتب مثلا – فالكتب قد مرت فى اختبار الزمن بحيث يمكن تقدير عوامل البلى والتقادم فيها بشكل دقيق محسوب . ولكن بالنسبة للأفلام ليس هناك احتمال لمثل هذا التقدير السابق لأوانه . فالاختبارات حتى الان اختبارات معملية تحاول أن تعوض عامل الزمن (مائة أو مائتى أو ثلثمائة سنة مثلا) – تحاول أن تعوض هذا خلال تركيز مؤثرات التقادم من حرارة أو رطوبة أو أحماض لمدة أيام أو أسابيع أو شهور داخل المعمل بحيث تمثل فى هذه الفترة القصيرة نسبيا ما يقابل نفس الأثر الكيميائى خلال عشرات أو مئات السنين . ولكن لا يمكن دائما الاطمئنان لنتائج مثل هذا التجريب مهما أحكمناه .

وعلى ذلك سوف نجد فى آراء عدد غير يسير من الخبراء نوعا من الحذر بألا يصرحوا أو ينصحوا باجراءات وقائية خاصة ، ولا يتنبأوا بما يمكن أن يطرأ مع الزمن على المواد الجديدة الداخلة فى صناعة الأفلام ، بل يحرصون فى تناول المسائل الحفيظة للأفلام على الإكتفاء بما قام عليه الدليل المستند إلى خبرات عملية كافية . وذلك لأن التسرع فى الاعتماد على تجارب معملية غير مؤكدة فى تمثيلها لعامل « الزمن » قد يحمل المنتج زيادة فى تكاليف صناعة الميكروفيلم ويحمل المستهلك زيادة فى تكاليف اقتنائه ، بدون ضمان عائد مؤكد من قوة الاحتمال ، أو استمرار الوضوح ، أو مقارنة المؤثرات الكيميائية أو البكتريولوجية التى يمكن أن تشارك فى تقادم الفيلم وبلاه .

ويجب منذ البداية التمييز بين نوعين من الحفظ (أ) – الحفظ المؤقت أو « الجارى » أو « التجارى » و (ب) الحفظ الأرشيفى والأكاديمى .

فالأول يمثل استمرار صلاحية سلعة للتداول .

والثانى يمثل رعاية تراث نحرص على استمراره إلى ما لا نهاية .

ومن المتفق عليه أن المدة المعقولة للحفظ التجارى أو الجارى أو المؤقت هى حوالى عشر سنوات ، بينما مدة الحفظ الأرشيفى يمكن اعتبارها لانهائية .

* * *

كيف تختزن الأفلام ؟

وما دمنا لا نختار لأنفسنا خامة الفيلم قبل تصويره . بل ولا نقوم بالتصوير لما نحتاج . إذن فلنركز (عند دراستنا للناحية الحفظية للأفلام) – نركز على أساليب وقاية ما نملكه منها مع مراعاة ظروف الاختزان بأحسن ما يمكن تدبيره .

١ – يجب عند لف الميكروفيلم بشكل دائرى أن يتم ذلك حول بكرات صنعت من مواد غير قابلة للصدأ ، ولتكن مثلا من البلاستيك . وإن كانت البكرات المعدنية ذات الطلاء السميك يمكن أن تؤدى نفس الغرض ، مع ضمانات أكثر لعدم تحلل أى نوع ردىء من البلاستيك ولكن هذا بشرط ألا يكون طلاء البكرات المعدنية نفسه قابلا للتحلل .

٢ – بالنسبة لأوعية اختزان الميكروفيلم ، هذه يمكن تقسيمها إلى فئات ثلاث فقد يختزن .

(ا) فى علب وأوعية مفتوحة – مثلا ظروف من الورق – أو حوافظ من الورق المقوى ، أو صناديق صغيرة من الكرتون .

(ب) فى علب مقفلة ولكنها ليست محكمة (أى ليست مختومة) .

(جـ) فى علب تمثل تعبئة كاملة فهى محمكة ومختومة كأى عملية « تعليب » للسلع الأخرى . وبطبيعة الحال هذا النوع الأخير ليس عمليا ولا يمكن أن يتمشّى مع الحفظ لأجل الاطلاع والاستعمال أولا وقبل كل شىء داخل مكتبة الجامعة أو مكتبة مركز البحوث – أعنى المكتبات المتخصصة التى يقصدها الباحث والقارىء الجاد .

ويمكن بالنسبة للوسيلتين الأخيرتين (أ ، ب) أن نحذر من الأثر الضار للصدأ ، أو حزمه المطاط ، أو اللحام بمواد لصق لن تلبث أن تحلل ، والصمغ الذى يغلب وجوده فى حواف الظروف . كما نحذر أيضا من وضع أى كيماويات داخل علب الميكروفيلم على أمل أن تمتص منها الرطوبة ، أو لإبعاد الحشرات ، أو قتل الآفات ... الخ .

والميكروفيلم المختزن على شكل لفافات دائرية يلف عادة إما حول بكرة ذات حافتين جانبيتين متسعتين ، أو حول « قلب » لا حواف له (أى مجرد نواة اسطوانية من ورق مقوى ــ أو بلاستيك) . وفى هذه الحالة لابد للفافة الميكروفيلم أن توضع أفقيا ــ أى بحيث تستقر على حافتها (أى حافة أو جانب الفيلم نفسه . ولكن يستثنى من ذلك حالة واحدة وهى : إذا كان القلب (أى النواة التى لفت حولها لفافة الفيلم) يركب معلقا على محور أفقى فهذا يمنع الجزء الأسفل من الفيلم من تحمل ضغط ثقل بقية الفيلم مضافا إليه ثقل القلب نفسه ــ أى يمنع الفيلم من أن يرتكز على أى جزء من محيط دائرة لفافته .

طريقة لف الميكروفيلم :

نلاحظ أنه إذا تم اللف حول بكرة أو « قلب » معدنى بإحكام شديد فإن ذلك قد يسىء إلى سلامة الفيلم نفسه لو أن ذلك القلب أو تلك البكرة تمددت كثيرا بارتفاع مفاجىء فى درجة الحرارة . فقد تتمزق بعض الطبقات الداخلية للفيلم ــ أى الطبقات الملاصقة للبكرة مباشرة . فإن لم تتمزق فعلى الأقل تتشقق المادة الحساسة التى تحمل النص المصور .

٤ ــ بالنسبة للعلب أو الأوعية نفسها : يجب تخيرها من مواد لا تتحلل ، ولا تصدأ ولا تتعفن ، ولا تتصاعد منها غازات ضارة بالميكروفيلم المختزن بداخلها ــ كما يحدث مثلا بالنسبة لبعض أنواع الورق المقوى غير تام التنقية ، أو لبعض أنواع البلاستيك .

* * *

عوامل التقادم الطبيعى والوقاية منها :

العوامل التى نتحدث عنها هنا هى : الرطوبة ــ والحرارة ــ والعفن .

الرطوبة والحرارة :

فمن حيث الرطوبة يجب أن نراعى ألا تظل لمدة طويلة أعلى من ٦٠٪ ولا أقل من ٣٠٪ فدرجات الرطوبة التى تزيد عن ٦٠٪ يترتب عليها عادة نمو الفطر (العفن) الذى لن يلبث نموه وانتشاره السريع على سطح الميكروفيلم أن يتلف الصورة التى تمثل عادة نصا نحرص عليه وعلى وضوحه . وحين تقل الرطوبة النسبية لمدة طويلة عن ٣٠٪ يصبح الفيلم عرضه للجفاف والالتواء والقابلية للتقصف . فإذا حفظ الميكروفيلم فى مبنى يتوفر فيه تكييف الهواء (بشرط القدرة على التحكم فى نسبة الرطوبة) ، فإن من الأفضل حينذاك جعل الميكروفيلم يتعرض للتهوية بما ييسر الانتفاع بهذا الهواء المكيف .

فإن أمكن التحكم فى الرطوبة النسبية لجو مكان اختزان الأفلام بحيث لا تتذبذب فى الارتفاع أو الانخفاض إلى حدود أعلى من ٦٠٪ ولا أقل من ٣٠٪ ــ إذن فلن نحتاج كثيرا إلى التفكير فى التحكم فى ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة . فإن درجة الحرارة العادية التى يتحملها الأفراد فى مكان عملهم أو مكان إقامتهم تكفى لأغراض الحفظ . فإن التأرجح فى درجة الحرارة ارتفاعا وانخفاضا لا يشكل خطراً فى حد ذاته . وإنما يأتى الخطر من تأثير درجة الحرارة على نسبة الرطوبة .

فإذا أردنا الاحتفاظ بالرطوبة النسبية فى درجة مثالية فهى بين ٤٠٪ و ٥٠٪ والأخيرة أحسن وطبعا التحكم فى الرطوبة هكذا لن يتأتى إلا باستعمال وسائل تكييف الهواء . فإذا استعملناها فما الذى يمنع إذن من ضبط درجة الحرارة عند معدل مثالى هو الآخر ــ وهذا يتراوح بين ٥١٥ ، ٥٢٥ سنتجراد ، وأحسنها ٢٠ أى ما يقابل ٥٦٨ فهرنهيت .

وإن من أشد الأخطار فاعلية ما ينجم عن تكاثف بخار الماء العالق بالجو على السطح المعرض له من جسم الفيلم . وهذه مشكلة من مشكلات الحفظ سواء بالنسبة للأفلام ، أو للأسطوانات ، أو حتى بالنسبة للكتب وأنواع المواد الأخرى داخل المكتبة حين تتعطل أجهزة التدفئة أو التكييف عموما لمدد طويلة أثناء الليل أو أثناء العطلات .

كما يجب العناية أيضا ببعد الأفلام عن الماء أيا كان مصدره فى أماكن حفظها (أى الأفلام) داخل المكتبة . وكذلك بعدها عن وسائل التدفئة الصناعية مع ما يشع منها من حرارة عالية نسبياً .

ويجب الكشف دوريا على مجموعات الميكروفيلم بالمكتبة لنرى ونلاحظ باستمرار وبدقة كل ما يطرأ عليها من تغيير ـــ فإن معرفة مدى التلف ومعرفة أسبابه أدعى لاختيار العلاج المناسب وفى الوقت المناسب قبل أن يستفحل الضرر ، أو على الأقل ادعى لتحميل الجهة المنتجة مسئولية رداءة الخامات أو رداءة ظروف الانتاج (من تصوير وتحميض وتثبيت وغسل .. إلخ) .

العفن (الفطر) :

كثر الحديث فى أوقات قريبة حول ما اعتبره البعض آفة تصيب الميكروفيلم فأطلقوا عليه كلمة measles (أى حصبة لأنه فى الواقع عبارة عن بقع صغيرة ذات لون أحمر تظهر على أجزاء من الفيلم – فكأنما هو وجه أو جلد مريض أصيب بالحصبة) . وهذه المسألة فى الواقع ذات أهمية ضئيلة ولكنها تعرضت لتفسيرات خاطئة ولنسبة من التهويل أكثر مما تستحق فعلا . فإن عددا من الأفلام التى اختزنت منذ سنة أو سنتين وربما (طالت المدة حتى تصل إلى ٢٥ سنة) ظهر أنها « أصيبت » بظهور هذه البقع الحمراء . ولكن اتضح بعد التجريب أنه حتى فى حالة وجود هذه البقع فإنها لم تؤثر البتة فى قابلية الفيلم لأن يقرأ حين يعرض على جهاز تكبيره وقراءته . والبقع فحصت ودرست بمنتهى الدقة لأنه حتى على فرض أن أثرها على استعمال الفيلم والانتفاع بنصوصه لا قيمة له حتى الآن . إلا أن الضرورة كانت تقضى بعمل تقديرات على ما يمكن أن يؤول إليه أمرها مستقبلا ، وهل هناك احتمال لاستفحالها . واتضح أن الغالبية العظمى من بقع « الحصبة » هذه إنما ظهرت فى الأجزاء السابقة على النص والخالية من الصور أى خالية من اللقطات فى بداية الأفلام ، أى أنها عادة تنحصر فى الجزء الذى لا قيمة له من الناحية المرجعية .

وهناك عدد من الاختبارات التى أجريت على عدد كبير من الأفلام بقصد تحليل هذه البقع الحمراء ومعرفة أسبابها ومن ثم طرق علاجها إن أمكن أو الوقاية منها مستقبلا . ويكفينا من نتائج هذه الدراسات أن نذكر أنه ثبت فعلا أن هذه البقع الحمراء لا تتسبب عنها أضرار ذات بال .

على أن هذا لم يمنع الباحثين من تقصى الأسباب لمنع ظهور هذه البقع على الميكروفيلم مستقبلا . كما أن التجارب أثبتت أن الصور المكبرة التى عملت من الميكروفيلم لم تتأثر

بوجود هذه البقع – بمعنى أن التجارب أجريت لتكبير صور من الميكروفيلم ، وهذه الصور تمثل نصوصا أصيب الفيلم بظهور البقع فوقها . ومع ذلك لم يؤد وجود البقع الحمراء بالفيلم إلى تشويه الصورة المكبرة عند إخراجها . بل وتبشر تلك الدراسة بأنه أمكن الوصول إلى نتيجتين هامتين .

أولا : تعريض الفيلم الخام عند صناعته ، أو الفيلم المصور عند تحميضه لعمليات بالذات ينتج عنها منع إصابتهما بهذه « الحصبة » مستقبلا .

ثانيا : منع تكاثرها على الأفلام التى أصيبت بها فعلا .

ولكن المشكلة الآن هى هل تتكلف عمليات الوقاية هذه من الجهد أو الوقت أو المال ما يجعل من الأيسر التغاضى عن البقع رغم وجودها ؟ وهل لهذا التغاضى مضاعفاته مستقبلا ؟ ومتى ؟ وكيف ، وإلى أى حد ؟ ــ هذه كلها مسائل لازالت بحاجة إلى أن تتقرر بشكل قاطع(١) .

ورغم وجود مثل هذه الحاجة ، ووجود هيئات تهتم بها (بعضها صناعى ، وبعضها حكومى) – ومثال هذا النوع الأخير « مصلحة التوحيد القياسى » بأمريكا – U.S National Bureau of Standars إلا أنه من المؤكد أن ليس هناك ما يدعو المكتبيين للاستسلام للقلق ولو ظهرت هذه البقع على بعض ما يختزنون من أفلام .

على أن احتمالات ظهور الفطر من أنواع أخرى قد احتاطت لها الشركات المنتجة للأفلام الخام فأدخلت فى صناعتها ما يمنع نموه . بل وأكثر من ذلك كان لهذا الاعداد أثره فى منع غزو الحشرات لمجموعات الأفلام لأن مادة الفيلم نفسه لم تعد تصلح غذاء لحشرات .

---

(١) كل ما ذكرناه هنا عن الدراسة التى قامت بها شركة ايستمان كوداك لحماية (الميكروفيلم من الفطريات) والتعليق عليها أخذناه عن المقال الآتى بيانه :

Scott, Peter, «Review of Copying methods, 1963» Library Resources and Technical Services, V.8 No. 2, Spring 1964, pp. 131-144.

(Mr. Peter Scott is the Head of Microreproduction Laboratory, Massachussetts Institute of Technology Libraries, Cambridge, Mass.).

والآن وقد ناقشنا تأثير الرطوبة والحرارة والفطر . مازال لدينا مؤثر من آخر مؤثرات التقادم الطبيعى – مؤثر يصعب التحكم فيه إلا عن طريق استعمال أجهزة تكييف الهواء ، ذلك المؤثر هو الغازات الحمضية الضارة : مثل ثانى أكسيد الكبريت الذى يتولد عن عمليات الاحتراق وخاصة فى فصل الشتاء (احتراق نفط ، احتراق زيوت) . وهناك أيضا غاز الأوزون الذى يتولد فى أعقاب العواصف المشحونة بالكهرباء الجوية فالهواء عند مروره بأجهزة التكييف يغسل لإزالة الأتربة العالقة به . وهذا الغسل يكفى لإذابة الأزوزن .

أما ثانى أكسيد الكبريت فيكفى لإزالته تمرير الهواء على ماء مذاب به أملاح قلوية فتتعادل مع الغاز الحمضى وتغير تركيبه وتزيل أثره الضار ، فينفذ الهواء بعد هذا الحمام القلوى إلى الأنابيب والأجهزة وقد ضمنا لها ألا تصدأ ، ثم ينفذ إلى حيث تختزن المحفوظات ، أوراق ، وثائق ، كتب ، جلود ، أفلام فيخلق الجو المناسب للحفظ بعد أن نكون قد تحكمنا فى حرارته ورطوبته وأزلنا الغازات الحمضية والأتربة منه .

بقى مؤثر أخير ، ليس طبيعيا — أى ليس نوعا من التقادم ، وليس قدراً مفروضا فى الجو المحيط بمكان الحفظ أو الاختزان : كالحرارة والرطوبة والبكتريا والغازات الحمضية ولكنه مؤثر ميكانيكى يمكن التحكم فيه والاحتراس منه وهو الحريق .

النار (الحريق) :

لحسن الحظ أن هناك نوعا من الأفلام تكفل طريقة صنعه المقاومة (ولكن ليست المناعة الكاملة) ضد الحريق فى درجات حرارة عالية نسبيا أى أنه يتحمل درجات حرارة عالية بدون أن يتأثر . ويمكن حين نطلب تصوير نص على ميكروفيلم أن – ننص على تخير هذا النوع من الخامات . وليترك بالفيلم نفسه جزء خال من الصور أو النصوص فى أوله . وحين نتلقاه فى المكتبة يمكن التجريب معمليا على أطراف منه (تؤخذ بوصفها عينات) فنتأكد من مقاومتها للنار . وطبعا مدى ثقتنا بالجهة التى قامت بالتصوير لها أهميتها فى هذا الصدد فقد توفر علينا مؤونة القيام بمثل هذه التجربة البدائية .

سوء الاستعمال :

طالما عبر الباحثون والأساتذة عن حاجتهم إلى وجود أجهزة لقراءة الميكروفيلم تتوفر فيها عدة شروط :

١ – صغر الحجم – وخفة الوزن بحيث يسهل نقلها .
٢ – رخص الثمن بحيث يسهل اقتناؤها .
٣ – بساطة التركيب بحيث يسهل استعمالها .
٤ – قوة الاحتمال بحيث تسهل صيانتها .

وبذلك تصبح فى متناول الأفراد ليستعملها كل منهم فى منزله أو فى مكتبه . وهذه الفكرة موجودة منذ عدة سنوات وتمت فى شأنها عدة محاولات . ولكن المحاولات – لم تنجح تماما – أو لازالت فى مرحلة التجريب – ولعلها تنتهى إلى سد هذا النقص بحيث يسهل لفرد استعمال الميكروفيلم سواء اقتناه بنفسه ، أو استعارة ليقرأه ثم يرده للمكتبة . وهنا تأتى مشكلتنا الحفيظة : هل فى حالة تعميم مثل هذا الجهاز بالمنازل وبمكاتب الأفراد – هل نسمح باعارة الميكروفيلم ، وكيف يتيسر التفتيش عليه بعد إعادته ؟ هل نضمن عدم تعرضه للخدوش أو التسلخات نتيجة تحريكه داخل جهاز مختل مثلا ، أو نتيجة جهل من استعاره بطريقة عرضه أو صيانته خلال مدة الإعارة ؟.

هذه كلها مسائل تخص المستقبل – ولكن لابد لنا من مواجهتها يوما ما ولكن الذى يهمنا الآن هو كيف نضمن الرقابة على استعمال الميكروفيلم داخل المكتبة ، فى كابينة أو خلوة أو معتكف بحث ، حيث ينفرد القارىء باستعماله قبل رده للجهة المختصة داخل المكتبة ؟ فإن لم تتيسر الرقابة أثناء الاستعمال فكيف تتيسر المراجعة (أى اختبار الفيلم للتأكد من سلامته) بعد الاستعمال ؟ وهل يتم ذلك بحضور المستعير أم بعد انصرافه . وما جدوى اكتشاف أى ضرر بعد انصراف المستعير .